ثنائيّة السلطة والمسؤوليّة  
-------  
كثيرا ما كان متاحا أمامي العمل في الحكومة  
ولكنّي لم أحاول في مرّة السير في هذا الطريق  
----------  
لماذا  
لأنّ النظام في الحكومة فاسد  
وأنا لا أريد أن أكون جزءا من هذا الفساد  
----------  
السؤال المنطقي الذي راودك الآن بالتأكيد  
هو  
ولماذا لا تعمل في الحكومة - وتصلح ما تحت يديك ؟  
وهذا هو ما أريد أن أناقشه مع حضراتكم في هذا المقال  
--------  
ثنائيّة السلطة والمسؤوليّة  
-------  
تعني ثنائيّة السلطة والمسؤوليّة الآتي  
إذا كنت ذا سلطة علي شئ  
فأنت مسؤول عنه  
وإذا كنت ستكون مسؤولا عن شئ  
فلا بد من أن تتملّك السلطة عليه  
--------  
لنوضّح ذلك  
بعد أحداث يناير 2011  
ثار رأي يقول  
أنّ مبارك غير مسؤول عمّا حدث  
أو كان يحدث  
---------  
وهذه مغالطة كبيرة  
إذ أنّ مبارك  
وكعادة أيّ نظام شمولي  
كان يملك السلطة المطلقة في الدولة  
بدءا من تعيين فرّاش في السكّة الحديد  
إلي إقالة وزير الدفاع وتعيين شيخ الأزهر  
-------  
وبناءا عليه  
مقابل سلطتة المطلقة  
هناك مسؤوليّة كاملة  
--------  
يتعجّب البعض من النظام في الجيش أحيانا  
حيث أنّه حين يخطأ جندي صغير  
يتمّ التحقيق مع كلّ قياداته  
--------  
لماذا  
لأنّ كلّ قيادة تملك إصدار الأوامر لمن هم دونها  
وكلّ من هم دون القيادة تلك  
ملزمون بطاعة الأمر الصادر لهم منها  
--------  
وبناءا عليه  
إذا وقع خطأ  
يحاسب الجميع  
أو هكذا يجب أن يكون  
----------  
بينما في الحكومة  
إذا أخطأ موظّف  
فإنّه يحاسب بمفرده  
لأنّه ملزم باتّباع اللائحة الخاصّة به  
ومديره لم يعطه أمرا حين أخطأ  
أو هكذا يجب أن يكون  
-------  
ببساطة  
الجندي خالف أمر القائد  
والموظّف خالف لائحة العمل  
وليس للمدير أن يأمر الموظّف بخلاف ما ورد في اللائحة  
بينما للقائد وببساطة ان يأمر الجندي بأيّ شئ  
--------  
هذه الثنائيّة  
السلطة والمسؤوليّة  
جعلت مبارك مسؤولا عن كلّ فساد حدث في الدولة  
لأنّه كان ذا سلطة علي كلّ شئ في الدولة  
------  
وهنا أذكر مثالا شخصيّا علي هذه النقطة  
كنت   
لفترة طويلة  
جاوزت السبع سنوات  
أعمل مدرّبا للكاراتيه في استاد المنصورة  
-------  
وكثيرا ما كان يأتي إليّ وليّ أمر  
ويقول لي  
عاوزك تضرب الولد حتي لو موتّته  
المهم إنّه يبقي بطل  
--------  
كنت دائما أردّ قائلا  
أنا ما بضربش اللاعبين  
-------  
يبدو من هذا الحوار  
ظاهريّا  
أنّني ضدّ فكرة ضرب الأطفال  
أو استخدام الضرب في التربية  
-------  
وأنا لست كذلك  
حيث أري أنّ الضرب  
أحد وسائل التربية  
ولكن بشروط دقيقة جدّا  
--------  
يعني مثلا  
قال رسول الله صلّي الله عليه وسلّم  
علّموا أولادكم الصلاة لسبع  
واضربوهم عليها لعشر  
وفرّقوا بينهم في المضاجع  
--------  
فالضرب متاح للمربّي  
ولكن بشروط مشدّدة  
--------  
فمثلا  
لا تضربه علي وجهه  
ولا علي منطقة عصبيّة  
ولا تضربه ضربا مبرحا  
يحدث جرحا أو يترك أثرا أو ييسبب احمرارا  
ولا تقبّحه أو تسبّه  
بل يكون الضرب خفيفا  
علي المناطق اللحميّة والعضليّة في الجسم  
بحيث يؤلم ولا يؤذي  
------  
ليس هذا موضوعنا  
ولكن موضوعنا هو  
لماذا كنت لا تضرب الأطفال  
---------  
السبب هو أنّ وليّ الأمر هذا  
يحاول  
بدون قصد أو إدراك منه للمبدأ الذي يستخدمه  
يحاول أن يعطيني سلطة مطلقة علي ابنه  
فما المقابل  
-------  
المقابل هو تحميلي مسؤوليّة مطلقة  
عن كون ابنه بطلا  
وأنا أرفض هذا  
لأنّه ليس كلّ طفل مؤهّل لكي يصير بطلا  
ففي آخر السنة  
لو لم يصبح الطفل بطلا  
سيجئ إليّ وليّ الأمر هذا ويقول  
لقد منحتك تفويضا مطلقا  
بفعل أيّ شئ  
ليكون الطفل بطلا  
فلماذا لم يصبح كذلك  
---------  
هذه ثنائيّة السلطة والمسؤوليّة  
---------  
علي الجانب الآخر من هذه الثنائيّة  
أو بالنظر لها من المنظور العكسي  
---------  
لكي تتحمّل مسؤوليّة شئ  
يجب أن تشترط حصولك علي السلطة الكاملة عليه  
---------  
بمعني  
لكي تكون مديرا في مصلحة حكوميّة  
يجب أن تكون لك سلطة طرد الموظّف المهمل  
وتعيين المتقدّم للعمل الذي يمتلك الكفاءة المطلوبة  
فإذا لم يكن لك هذا المدي من الصلاحيّات  
أو لنقل بصورة أوضح  
السلطات  
فأنت لن تستطيع إدارة المؤسّسة  
---------  
وعليه  
فإنّ كلّ المسؤولين في الدولة  
والذين هم في درجة مثلا  
مدير مدرسة  
أو مستشفي  
أو أيّ مصلحة حكوميّة  
--------  
لا يملك إلا أن يذهب لمكتبه صباحا  
يتناول القهوة  
ويتابع الأخبار  
قد تراه يسير في طرقات المستشفي  
ويصيح في الموظّفين  
كلّ ده بكش  
--------  
مهما فعل  
فهو لن يستطيع أن يفعل  
إلا ما يريد الموظّفون فعله  
-------  
الحقيقة  
أنّه هو المدير  
ولكنّ الموظّفون هم أصحاب السلطة  
---------  
هم من يستطيعون إيقاف المراكب السايرة  
لو تعاظم المدير في الإساءة إليهم  
---------  
هم يتقبّلون منه بعض الإساءة  
فقط لأنّه المدير  
ولازم ياخد وضعه  
----------  
لكن في الحقيقة  
هم من يديرون المصلحة الحكوميّة  
---------  
ولذلك  
فإنّ الفساد هو سيّد الموقف  
والمدير لن يستطيع أن يفعل شيئا  
إلا أن يكون مديرا لهذا الفساد  
---------  
وهذا هو ما بدأت به مقالي مع حضراتكم  
لهذا السبب أرفض أن أعمل في الحكومة  
---------  
وإن كان العمل في الحكومة هو الأضمن اجتماعيّا  
ولكنّي لا أريد أن أوضع في موضع  
هذا المسكين المغلوب علي أمره من موظّفيه  
----------  
كان أحد أبناء مصر  
من أصحاب العقليّات النادرة  
يطلب منه كثيرا  
أن يتقدّم لمنصب الوزارة  
وهو كان أهلا لها لو تقدّم لها  
ولكنّه كان يرفض  
----------  
لماذا  
لأنّه يعلم تمام العلم  
أنّ الوزير لا يملك من أمر نفسه شيئا  
ولا موظّفيه  
--------  
لا يملك أن يفصل موظّفا صغيرا من عمله  
ما دام هذا الموظّف  
قد تمّ تعيينه بالطريقة الروتينيّة العاديّة  
---------  
كلّ ما يملكه هو أن يصيح في وجهه أمام الكاميرات  
ياخد اللقطة  
وشكرا  
--------  
في أسوء حالات تعذيب الموظّف  
سيتمّ نقله لمكان آخر  
----------  
وكأنّه كان موظّفا فاسدا في مكان  
فرأينا أنّ الحلّ  
هو أن ننقله ليمارس فساده  
في مكان آخر  
---------  
هذه هي سلطة الوزير علي الموظّف  
--------  
وبناءا عليه  
حين تطالبه بالمسؤوليّة  
يكون هو من وضع نفسه في موضع ظلم  
وضع نفسه في موضع  
يتحمّل فيه المسؤوليّة  
ولا يملك فيه السلطة  
----------  
وعليه  
فإنّ من يقحم نفسه في هذه المنظومة  
فإنّه يختار وبكامل إرادته  
أن يكون ترسا فاسدا في منظومة الفساد  
--------  
النقطة الأخيرة  
الحلّ  
--------  
هل تري أنّ الحلّ  
في أن نقف جميعا متفرّجين  
علي تروس منظومة الفساد وهي تدور  
---------  
بالقطع لا  
ولكنّي أري أنّ الحلّ  
هو نسف المنظومة  
وليس علاجها  
--------  
ولا يحدث هذا إلا بثورة فوقيّة  
يقوم فيها الثوّار والمصلحون  
بتملّك السلطة علي الموظفين الفاسدين  
----------  
فمن ثبت فساده  
طرد طردا باتّا من المنظومة  
ومن ثبتت كفاءته من خارج المنظومة  
أدخل إليها  
ليصير لدينا منظومة جديدة كاملة صالحة  
---------  
الغرغرينا علاجها البتر  
والمؤسسة الحكوميّة مصابة بالغرغرينا في كافّة أطرافها  
----------  
لو وضعت حبّة طماطم صالحة  
داخل قفص طماطم فاسد  
وظننت أنّ هذه الحبّة  
سستصلح باقي الحبّات  
فأنت مجنون  
--------  
العكس هو الصحيح  
لو وضعت حبّة طماطم واحدة فاسدة  
في قفص كلّ حبّاته سليمة  
فإنّ هذه الحبّة الفاسدة  
ستجبر الآخرين علي الفساد  
----------  
عليك باستئصال هذه الحبّة الفاسدة نهائيّا  
---------  
وطالما لا تملك السلطة لذلك  
فلا تقحم نفسك في المسؤوليّة عن ذلك  
----------  
والحاصل  
هو أنّ قفص الدولة والحكومة كلّه فاسد  
فالحل  
هو أن تفرّغ كلّ محتويات هذا القفص  
وتشتري قفصا آخرا جديدا صالحا  
--------  
ختاما  
إذا أعطيت السلطة علي شئ  
فكن علي يقين أنّك مسؤول مسؤوليّة كاملة عنه  
--------  
وإذا تحمّلت المسؤوليّة عن شئ  
فلا تنصرف قبل أن تأخذ معك السلطة  
وإلا فارفض تحمّل تلك المسؤوليّة  
أو فارض بتحمّل تلك المسؤوليّة